Journal of Alasmarya University
Volume 15, December 2010

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الخامس عشر، ديسمبر 2010

من رسوم دار الخلافة الفاطمية

د. خالد عبد زيدان الجبوري*

إن للنظم الإسلامية أهمية كبيرة في التاريخ الحضاري للأمة، ودراستها تختلف عن دراسة الأحداث العسكرية أو السياسية أو الاجتماعية وكذلك القضائية.

كما أن دراسة رسوم الخلافة ضرورة لفهم التطورات والتقاليد في مؤسسة الخلافة في العهد الفاطمي. والتي يراد بها مجموع العادات المتبعة في مقابلة الناس أو معاملتها في شؤون الألفة[1] فضلا عن استقبال الناس في أمور سياسية والقيام بها والأساليب المتبعة في مقابلة الملوك وعظام الدول وأسلوب مخاطبتهم[2]. ولم يرد معنى الرسوم المراد بحثه في معاجم اللغة[3] ومن أهم رسومها:

---

* الجامعة الأسمرية.

1- عواد، ميخائيل، مقدمة في كتاب رسوم دار الخلافة للصابي، مطبعة العاني، بغداد 1964 م، ص 46.

2- المصدر نفسه.

3- ورد معنى الرسوم عند ابن منظور بمعنى: «رسم: الرسم، قيل بقية الأثر، وقيل: هو ما ليس له شخص من الآثار، وقيل: هو ما لصق منها ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقا بالأرض والجمع أرسم ورسوم» ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ/1311م) لسان العرب، مطبعة دار صادر بيروت، بيروت، 1374هـ/1955م، م 12، ص 241 ؛ وقد أورد الزبيدي معنى آخر: «المرسوم كتاب مطبوع والجمع مراسيم وترسم الشيء تبصره» ينظر: الزبيدي، محيي الدين أبو الفضل السيد محمد مرتضى الحسيني (ت: 1205هـ/1791 م) شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ ج8، ص 313.

البيعة وولاية العهد

أول من أورد الرسوم الصابي (ت: 448هـ/1056م) في كتابه (رسوم دار الخلافة) فقد ذكر من رسوم الخلفاء الفاطميين البيعة، حيث حدد ابن خلدون البيعة في اللغة والشرع بقوله: «اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدا، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمي بيعة. مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع»[4]. وبذلك يوضح ابن خلدون أن البيعة تعني الولاء والطاعة.

إلا أن نظر الفاطميين إلى الخليفة كان على خلاف نظر العباسيين، فكانوا ينظرون إلى الخليفة الفاطمي باعتباره إماما يرث أباه عن طريق التعيين بالنص، وهذا يوضح أن الخليفة الفاطمي لابد أن يعين ولي عهده قبل وفاته لكي لا يخلو العالم من إمام[5] ومن الأمثلة على ذلك ما قام به المعز لدين الله أبو تميم معد بن تميم من تعيين ابنه العزيز بالله أبي المنصور إماما قبل وفاته، وعندما توفي المعز سنة (365هـ/975م) تولى الخلافة «ابنه العزيز بالله أبو المنصور»[6].

ولهذه الطريقة حيويتها وميزتها، إذ كان ولي العهد كبير السن واسع الخبرة والتجربة، لديه من الكفاءة العالية التي تمكنه من تولية هذا المنصب، ومن الأمثلة على ذلك تولية القائم بن عبيد الله المهدي الخلافة الفاطمية سنة (322هـ/934م) كان قبل أن يتولى منصب الخلافة والإمامة، يتمتع بمميزات كبيرة، فكان ماهرا في الحرب، له دراية واسعة بالسياسة[7]، فضلا عن أنه في أيام والده عبيد الله المهدي هاجم مصر أكثر من

4- عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ/1405م) مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسي أ. م كاتر ميره، ط1، بيروت، 1970م، ص 376.

5- القلقشندي، أحمد بن علي (ت: 821هـ/1418م) صبح الأعشى في صناعة الأنشا شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، دار الفكر، بيروت، 1407 هـ/1987م، ج3، ص 494.

6- المصدر نفسه.

7- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، القاهرة، 1274هـ، ج6، ص 135.

مرة[8]. ومن الأمثلة الأخرى، تمكن العزيز من الانتصار على القرامطة في حياة أبيه[9].

وكان على العكس من ذلك، عندما يكون الإمام أو الذي يتولى الخلافة صغيرا، فإن الدولة تتأثر بهذا الأمر، فقلة الخبرة والتجربة في إدارة الأمور الإدارية والعسكرية، فضلا عن نقص كفايته، من العوامل التي أدت إلى قيام المتاعب في وجه الخلافة وقيام الاضطرابات[10].

وعندما كانت البيعة تؤخذ وتتم، كان المبايعون يؤكدون عليها وتوثق بالحلف والأيمان[11]. وبذلك أصبحت جزءا مهما من البيعة[12]، حيث أخذت البيعة من أهل أفريقية لعبيد الله المهدي، وكانوا قد حلفوا: وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذي برقاده[13].

الخطبة

هي ما يلقيه الخليفة في المسجد بعد البيعة، وتعد من الأمور المهمة، وقد أصبحت رسما من رسوم الخلافة في العصر الفاطمي، وهي استمرار لما كان عليه الأمر في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين وكذلك العباسيين، حيث كان الخلفاء الراشدون

8- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص 136.

9- ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة (ت: 550هـ/1160م) تاريخ ابن القلانسي، بيروت، 1908م، ص 16.

10- ينظر: ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت: 677هـ/1278م) أخبار مصر، اعتنى بتصحيحه: هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة 1919 م، ج2 ص44

11- ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ج1، 377.

12- ينظر: المصدر نفسه.

13- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد (ت: أواخر القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي) البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق: دوزي، ليدن، 1848م، ص 136 ؛ ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم (ت: 681هـ/1281 م) وفيات الأعيان، بولاق، 1283هـ، ج3، ص 488. رقاده: مدينة على بعد أربعة أميال من القيروان، كانت داراً لبني الأغلب إلى أن هرب منها زيادة الله على يد أبي عبد الله الشيعي وقد سكنها عبيد الله المهدي سنة 297هـ/909م، ينظر: البكري، أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1097م) كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مطبعة دي سلين، الجزائر، 1857م، ص 27.

يلقون خطبهم بعد البيعة في المسجد النبوي الشريف[14].

وقد خطب المعز لدين الله، مذكراً ابن ميسر: «وكانت وسادة ديباج في أعلى درجة على المنبر فجلس عليها بين الخطبتين واستفتح الخطبة بالبسملة وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشنيع صاحب المظلة، ثم قال: الله أكبر الله أكبر استفتح بذلك وخطب وأبلغ ... وكانت خطبة بخشوع وخضوع»[15].

المواكب والأعياد

ومن رسوم دار الخلافة الفاطمية مواكب الخلافة، حيث كانوا يركبون في مناسبات متعددة، ويعتنون عناية خاصة بالمواكب، وكانت تسمى (بالمواكب العظام)[16].

ويطالعنا ركوب الخليفة الفاطمي في موكبه الأول (ركوب أول العام) ويذكر القلقشندى قائلا: «وكان من شأنهم فيه أنه إذا كان العشر الآخر من ذي الحجة من السنة، وقع الاهتمام بإخراج ما يحتاج إليه من المواكب من حواصل الخليفة، فيخرج من خزائن السلاح وما يحمله الرّكابيه وغيرهم حول الخليفة كالصَماصم والدَبابيس، واللَتوت، وعمد الحديد، والسيوف، والَدرق، والرماح، والألوية والأعلام، ومن خزانة التجمل برسم الوزير والأمراء وأرباب الخدم الألوية والقضب والعماريات، وغير ذلك مما تقدم ذكره، ومن الإسطبلات مائة فرس مسوَمة برسم ركوب الخليفة وما بجنبه، ويخرج من خزانة السروج مائة سرج بالذهب والفضة مرصع بعضها بالجواهر بمراكب من ذهب، وفي أعناق الخيل أطواق الذهب وقلائد العنبر، وفي أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة، قيمة كل فرس وما عليها من العدة ألف دينار، يدفع للوزير منها عشرة بعدتها برسم ركوبه وركوب أخصائه، وتسلم إلى المناخات أغشية العماريات لتحمل على الجمال، إلى غير ذلك من الآلات المستعملة في المواكب مما تقدم ذكره

14- ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ/922م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1968م، ج3، ص 433؛ ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت: 328هـ/939م) كتاب العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1385هـ/1965م، ص 59.

15- أخبار مصر، ج2، ص 44.

16- ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 577.

في الكلام على الخزائن، ويبعث إلى أرباب الخدم من الإسطبلات بخيول عادية ليركبوها في الموكب ...»[17].

ويشير المقريزي إلى رسوم الخلفاء الفاطميين أنهم يقيمون مواكب يركبون فيها أيام السبت والثلاثاء سائر الشهر، فضلا عن أنهم كانوا يركبون في الاحتفال بأول المحرم[18].

أما احتفالهم بشهر رمضان، وهو الموكب الثاني، ركوبهم أول شهر رمضان، ويقول القلقشندى «وهو قائم عندهم مقام رؤية الهلال، والأمر في العرض واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق المسلوكة على ما تقدم في أول العام من غير فرق، ويكتب فيه المخلفات بالبشائر كما يكتب في أول العام»[19].

وكذلك احتفال أيام الجمع يسمى الموكب الثالث، ركوبه في أيام الجمع الثلاثة من شهر رمضان، «وهي الجمعة الثانية والثالثة والرابعة، وذلك أنه إذا ركب إلى الجامع الأنور بباب البحر، بكر صاحب بيت المال إلى الجامع بالفرش المختص بالخليفة محمولاً على أيدي أكابر الفراشين ملفوفا في الفرش الديبقية، فيفرش في المحراب ثلاث طراحات أما شاميات وأما ديبقي أبيض، منقوشة بالحمرة، وتفرش واحدة فوق واحدة ... فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر، ركب إلى الجامع الأزهر، كذلك فعل كما في الجمعة الأولى، لا يختلف في ذلك غير الجامع. فإذا كانت الجمعة الرابعة منه، ركب إلى الجامع العتيق بمصر ويزين له أهل القاهرة من باب القصر إلى الجامع الطولوني، ويزين له أهل مصر من الجامع الطولوني إلى الجامع العتيق ... فإذا قضى الصلاة، عاد إلى القاهرة من طريقه تلك إلى أن يصل إلى قصره، وفي خلال ذلك كله لا يمر بمسجد إلا أعطى أهله دينارا على كثرة المساجد في طريقه»[20].

والموكب الرابع، ركوب الخليفة لصلاة عيدي الفطر والأضحى[21]، فيذكر

17- القلقشندي، صبح الأعشى.

18- تقي الدين أحمد بن علي (ت: 845هـ/1441م) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، بولاق، 1270هـ، ج1، ص 484.

19- صبح الأعشى، ج3، ص 583.

20- المصدر نفسه، ج3، ص 583-585.

21- المصدر نفسه، ج3، ص 585.

القلقشندى قائلا: « أما عيد الفطر فيقع الاهتمام بركوبه في العشر الأخير من رمضان، وتعبى أهبة المواكب على ما تقدم في أول العام وغيره، وكان خارج باب النصر مصلى على ربوةٍ وجميعها مبنيٌ بالحجر، ولها سور دائر عليها وقلعة على بابها ... »[22].

وقال ابن تغري بردي: « إذا تكملت عدة شهر رمضان، وهي عندهم أبدا ثلاثون يوما، وتهيأت الأمور كما تقدم ذكره، ركب الخليفة بالمظلة واليتيمة، ولباسه في هذا اليوم الثياب البيض الموشحة، وهي أجلُّ لباسهم، والمظلة أبدا زيها تابع لزي ثياب الخليفة، ويخرج الخليفة من باب العيد إلى المصلى، وعساكره وأجناده من الفرسان والرجالة زائدة على موفورة العدد، فيقفون صفين من باب العيد إلى المصلى ... »[23].

أما الموكب الخامس، فهو ركوبه لتخليق المقياس عند وفاء النيل[24] فقد ورد « يركب الخليفة في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والموكب العظيم، إلا أنه لا يلبس التاج الذي فيه اليتيمة ولا يخلي المظلة على رأسه في ذلك اليوم، ويركب الوزير وراءه في الجمع العظيم على ترتيب الموكب ... »[25].

والموكب السادس هو ركوب فتح الخليج، وهو في اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق، وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حيث يأخذ النيل في الزيادة وتعمل في بيت المال موائد من التماثيل المختلفة من الغزلان، والسباع، والفيلة، والزراريف عدة وافرة، منها ما هو ملبس بالعنبر، وما هو ملبس بالصندل، مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب، وكذلك يعمل أشكال التفاح والأترج وغير ذلك، وتخرج الخيمة العظيمة المعروفة بالقاتول المتقدمة الذكر فتنصب للخليفة في بر الخليج الغربي على حافته عند منظرة يقال لها السكرة على القرب من فم الخليج، ويلف عمود الخيمة بديباج أحمر أو أبيض أو أصفر من أعلاه إلى أسفله، وينصب فيها سرير الملك مستنداً إليه ويغشى بقرقوبي، وعرانيسه ذهبٌ ظاهرة[26].

22- القلقشندي، صبح الأعشى.

23- جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت: 874هـ/1469م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963 م، ج2، ص 105.

24- القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 590 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 105

25- القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 590-592.

26- المصدر نفسه، ج3، ص 592.

مواكب أول العام

وهناك مواكب للخلفاء الفاطميين فيما بين أول العام ورمضان ولا يتعدى ذلك يومي السبت والثلاثاء فإذا عزم على الركوب في يوم من هذه الأيام، قدم تفرقة السلاح على الركابية على ما تقدم ذكره في أول العام، وأكثر ما يكون ركوبه إلى مصر، فيركب الوزير وراءه على أخصر من النظام المتقدم له في المواكب العظام وأقل جمعاً، ولبسه في هذه الأيام الثياب المذهبة من البياض الملون ومنديلٌ من نسبة ذلك مشدودة بشدة غير شدات غيره، وذوائبه مرخاة تقرب من جانبه الأيسر، وهو مقلد بالسيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة، ويخرج شاقاً القاهرة في الشارع الأعظم حتى يجاوز الجامع الطولوني على المشاهد إلى الجامع العتيق. فإذا وصل إلى بابه، وجد الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب، مفروشةٍ بحصير وعليها سجادة معلقة[27].

الألقاب والكنى

ومن رسوم الخلافة الفاطمية (الألقاب) حيث كان الخلفاء الفاطميون يلقبون بألقالب كثيرة. إضافة إلى ذلك فإن ظاهرة الألقاب الرسمية والنعوت الشخصية متعددة الجوانب ولها دلالات دينية وسياسية.

لقد تناول بعض الباحثين المحدثين موضوع الألقاب الإسلامية، منهم حسن الباشا في كتابه (الألقاب الإسلامية) وهو كتاب عام وشامل، لم يتعمق فيه بدراسة الألقاب ولم يشبعها نقدا وتحليلا[28]، كما هناك دراسات حديثة تناولت الأحداث الاجتماعية وتاريخ بعض الخلفاء الفاطميين[29]، إلا أن هذه الدراسات تناولت عدداً من الألقاب بصورة سريعة، دون إعطاء توضيح وتفسير لدلالاتها السياسية أو الدينية[30].

ومن الألقاب المحببة إلى الفاطميين لقب (إمام) وصاحب الزمان والسلطان، والشريف القاضي، كما خاطبَ قاضي القضاة الخليفة يوم الجمعة قائلا: «السلام على

27- القلقشندي، صبح الأعشى.

28- الباشا حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ملتزم النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص 276.

29- حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964 م، ص 266.

30- جلال إبراهيم، المعز لدين الله الفاطمي وتشييد مدينة القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1963م، ص 22.

أمير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب ورحمة الله وبركاته»[31].

وقد لُقب الخلفاء الفاطميون بألقاب أخرى، مثل المهدي الذي لُقب به عبيد الله[32]. والقائم الذي لُقب به محمد أبو القاسم[33]، والمنصور الذي لُقب به إسماعيل أبو طاهر[34]، والمعز الذي لُقب به معد أبو تميم[35]، والعزيز الذي لُقب به نزار أبو منصور[36]، والحاكم الذي لُقب به المنصور أبو علي[37]، والظاهر الذي لُقب به علي أبو الحسن[38]، والمستنصر الذي لُقب به معد أبو تميم[39]، والمستعلي الذي لُقب به أحمد أبو القاسم[40]، والآمر الذي لُقب به المنصور أبو علي[41]، والحافظ الذي لُقب به عبد المجيد، والظافر الذي لُقب به إسماعيل أبو منصور[42]، والفائز الذي لُقب به عيسى أبو القاسم[43]، والعاضد الذي لُقب به عبد الله أبو محمد[44].

استعمل الخلفاء الفاطميون الكُنى، وذلك لإعطاء أهمية كبيرة وتعظيما وهيبة وتوقيرا، ويؤكد ذلك الزبيدي بقوله: «الكنية اسم يطلق على الشخص للتعظيم»[45].

31- ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت: 630هـ/1238م) الكامل في التاريخ، المطبعة الكبرى، القاهرة، 1290هـ، ج8، ص 13.

32- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 135.

33- ينظر: المصدر نفسه.

34- المقريزي، اتعاظ الحنفا بإخبار الخلفا، نشر الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، 1367هـ/1948م، ص 59.

35- ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص 37.

36- المصدر نفسه.

37- المصدر نفسه، ج2، ص 52.

38- المصدر نفسه، ج2، ص 81.

39- المصدر نفسه، ج2، ص 7.

40- المصدر نفسه، ج2، ص 34.

41- المصدر نفسه، ج2، ص 72.

42- المصدر نفسه، ج2، ص74.

43- المصدر نفسه، ج2، ص 75.

44- ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص 233.

45- الزبيدي، تاج العروس، ج 10، ص 319.

فكان محمد بن عبيد الله يكنى بأبي القاسم[46]، أما المنصور بن محمد فكنيته أبو طاهر[47] وكنية معد أبو تميم[48] وكنية نزار أبو منصور[49]، وكنية المنصور أبو علي[50]، وكنية علي أبو الحسن[51]، وكنية أحمد أبو القاسم[52]، وكنية الحافظ عبد المجيد أبو الميمون[53]، وكنية الظافر إسماعيل أبو منصور[54]، وكنية الفائز أبو عيسى[55]، وكنية العاضد أبو عبد الله[56].

الكسوة والطراز

ومن رسوم الخلافة الفاطمية الكسوة[57] والطراز، حيث إن الدولة في عهد الفاطميين لم تبق على بساطتها في السابق وإنما تطورت في مختلف المجالات.

وذكر القلقشندي عن ابن طوير أنه كان للخليفة «ثياب يلبسها في الدار أكمامها على النصف من أكمام ثيابه التي يلبسها في المواكب، وكان من شأنه أنه لا ينصرف من مكان إلى مكان في القصر في ليل أو نهار إلا وهو راكب، ولا يقتصر في القصر على ركوب الخيل. بل يركب البغال والحمير لما تدعوه الضرورة إليه من الجواز في السراديب القصيرة والطلوع على الزلاقات إلى أعلى المناظر والمساكن، وله في الليل

46- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 136.

47- السلاوي، الشيخ أحمد بن خالد الناصر (ت:1315هـ/1897م) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، القاهرة، 1312هـ، ج1، ص 82.

48- ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص 33.

49- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 135.

50- المصدر نفسه، ج6، ص 136.

51- ابن ميسر أخبار مصر، ج2، ص 32

52- المصدر نفسه، ج2، ص 36.

53- المصدر نفسه، ج 2، ص 74.

54- المصدر نفسه، ج2، ص 61.

55- المصدر نفسه، ج2، ص 63.

56- المصدر نفسه، ج2، ص 66.

57- قال ابن منظور في معنى الكسوة: «الكسوة: اللباس ... يقال أكسوت فلانا أكسوة إذا ألبسته ثوباً أو ثيابا فاكتسى، واكتسى فلان إذا لبس الكسوة» ينظر: لسان العرب، ج15، ص 223. ويتضح من ابن منظور أن الكسوة تعني الملابس التي يرتديها الشخص أو الخليفة.

نسوة برسم شد ما يحتاج إلى ركوبه من البغال والحمير، وفي كل محلة من محلات القصر فسقيةٌ مملوءة بالماء خفيةً من حدوث حريق في الليل، ويبيت خارج القصر في كل ليلة خمسون فارساً للحراسة»[58].

ويشير القلقشندي أيضا إلى أن الخليفة في ركوبه لتخليق المقياس عند وفاء النيل كان «في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والموكب العظيم»[59]. وفي ركوب الخلفاء الفاطميين في أول العام من كل سنة، ولباسه في هذه الأيام كما يقول ابن تغري بردي: «لبس الثياب البيض المذهبة والملونة، والعمامة، والمنديل مشدود ...»[60]. وعند ركوب الخليفة في يومي عيد الفطر والنحر فيلبس الخليفة في هذا اليوم «ولباسه في هذا اليوم الثياب البياض الموشحة وهي أجل لباسهم»[61].

القضيب والتاج

ومن رسوم الخلافة الفاطمية شارات الخلافة، التي من بينها القضيب[62] وكان الرسول ﷺ يحمل القضيب بيده[63]، وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده.

أما في عهد الفاطميين فيسمى «قضيب الملك، وهو عود طول شبر ونصف، ملبس بالذهب المرصع بالدر والجوهر، يكون بيد الخليفة في المواكب العظام»[64] ومنها كذلك التاج الذي يوضع على الرأس، ويذكر القلقشندى: «وكان ينعت عندهم بالتاج الشريف، ويعرف بشدة الوقار، وهو تاج يركب به الخليفة في المواكب العظام، وفيه جوهرة عظيمة تعرف باليتيمة زنتها سبعة دراهم ولا يقوم عليها لنفاستها، وحولها

58- صبح الأعشى، ج3، ص 595- 596.
59- المصدر نفسه، ج3، ص 590.
60- النجوم الزاهرة، ج2، ص 93.
61- المصدر نفسه، ج2، ص 93.
62- يذكر الزبيدي أن «القضيب (الغصن) وكل نبت من الأغصان بقضيب ... والقضيب اللطيف من السيوف ... والقضيب أيضا سيف من أسيافه ﷺ» ينظر:تاج العروس، ج1، ص 432.
63- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ/1058م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ/1978م، ص 172.
64- القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 540.

جواهر أخرى دونها يلبس الخليفة هذا التاج في المواكب العظام مكان العمامة»[65].

السيف

ومنها أيضا السيف الخاص الذي يحمل مع الخليفة في المواكب[66] «وحليته من ذهب مرصعة بالجواهر وهو في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه، وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة في المراكب»[67] ومنها الدواة «وهي دواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المرجان على صلابته ومناعته، تلف في منديل شرب أبيض مذهب، يحملها شخص من الأستاذين في الموكب أمام الخليفة تكون بينه وبين السرج ثم جعل حملها لعدل من العدول المعتبرين»[68].

ويذكر ابن تغري بردي ذلك عند ركوب الخلفاء الفاطميين في أول العام من كل سنة والذي أسس هذا الركوب الخليفة المعز، حيث يقول: ثم تخرج الدواة فيتسلمها حاملها، وهو من الأستاذين المحنكين، وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان، وهي من الذهب، وحليتها من المرجان، تلف في منديل شرب بياض مذهب، وفيها يقول بعض الشعراء:

أَلين لداود الحديدَ كرامةً فقدره في السرد كيف يريد
ولان لك المرجان وهو مجارة على أنه صعب المرام شديد[69]

ويذكر أيضا: «ثم حامل الدواة، وموضعها من حاملها بينه وبين قربوس السرج»[70].

الرمح والدرقة والراية

ومنها أيضا الرمح «وهو رمح لطيف في غلاف منظوم باللؤلؤ، وله سنان مختصر

65- القلقشندي، صبح الأعشى.
66- المصدر نفسه.
67- المصدر نفسه، ج3، ص 541.
68- المصدر نفسه، ج3، ص 541.
69- النجوم الزاهرة، ج3، ص 87.
70- المصدر نفسه، ج3، ص 89.

بحلية الذهب، وله شخص مختص بحمله »[71]. ومنها (الدرقة) وهي درقة كبيرة بكوابج من ذهب يقولون أنها درقة حمزة عم النبي ﷺ وعليها غشاء من حرير، ويحملها في الموكب أمير من أكابر الأمراء، له عندهم جلاله[72]، ومن رسوم الخلفاء الفاطميين الراية وهي رايات بيضاء اللون، كان عليها أهلة من ذهب وعليها صور سبع من الديباج الأحمر[73]. وكانت رايات العلويين بيضاء[74].

يشير ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة إلى أنه « يؤمر بشد لواءي الحمد المختصين بالخليفة وهما رمحان طويلان ملبسان بمثل أنابب عمود المظلة إلى حد نصفهما برأسهما لواءان حريريان أبيضان مرقومان بالذهب ملفوفان على رماحهما ويخرجان بخروج المظلة فيحملهما أميران »[75].

ويذكر أيضا « يخرج إحدى وعشرون راية لطيفة من حرير مرقوم، ملونة بكتابة في كل واحدة بما يخالف لونها ... طول كل راية ذراعان في ذراع ونصف، فتسلم لواحد وعشرين رجلا »[76]. و كان ينسج عليها بعض الآيات القرآنية مثل ﴿نَصۡرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾ [الصف: 13] وكانت تحمل في مواكب الخليفة[77].

السكة

كذلك من شارات رسوم الخليفة الفاطمي ضرب السكة ويقوم بنقش عبارات عليها كما فعل أبو عبد الله الشيعي حينما نقش عليها « الحمد لله رب العالمين، وسميت السيدية »[78]. وقد كتب المنصور والد المعز لدين الله الفاطمي على الدراهم التي ضربت

71- القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 541.

72- المصدر نفسه، ج3، ص 541.

73- ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 225؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 274-275 ؛ متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، الناشر مكتبة الخانجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1387هـ/1967م، ج1، ص 228.

74- القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 275.

75- النجوم الزاهرة، ج3، ص 85.

76- المصدر نفسه.

77- ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 225 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 475 ؛ ص 506، ص 514.

78- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، ص 148.

لـه «الله الواحـد الغفـور» علـى أحـد الـوجهين، وعلـى الوجـه الأخـر «الإمـام أبـو منصور»[79].

وعندما فتح القائد جوهر مصر سنة 358 هـ/968 م كتب على الدنانير على أحد الوجهين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي خير الوصيين، ووزير خير المرسلين محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» وكتب على الوجه الأخر الإمام معد لتوحيد الإله الصمد المعز لدين الله أمير المؤمنين ضرب بمصر سنة 358 هـ[80].

ويذكر المقريزي رواية أخرى مفادها أن المعز كتب على أحد الوجهين في سطر واحد «الإمام معد لتوحيد الإله الصمد» وفي سطر آخر «المعز لدين الله أمير المؤمنين» وفي سطر ثالث «بسم الله، ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمانية وخمسين وثلثمائة» وفي الوجه الآخر فقد كتب فيه «لا إله إلا الله، محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[81].

ويتضح من هذه النصوص أن الخلفاء الفاطميين كتبوا على سكتهم (العملة) اسم الله عز وجل واسم الرسول ﷺ كما كتبوا اسم الخليفة ولقبه وتاريخ الضرب الذي صدرت فيه[82]. وكذلك قام الخلفاء الفاطميون بضرب عملة يضرب عليها أحيانا اسم ولي العهد أو الوزير، ومن الأمثلة على ذلك ما كتب المستنصر على عملته اسم وزيره اليازوري، فلما قدم مصر نال ما ذكرنا وضرب سكة نقش عليها البيتين التاليين:

ضـــربت في دولـــة آل المهـــدي مـــن آل طـــه وآل ياســـين
مستنصـــر بـــالله جـــل اسمـــه وعبـــده الناصـــر للـــدين[83]

79- ابن ميسر، أخبار مصر، ج3، ص 49.
80- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن (ت: 732هـ/1332م) نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، بلا، ج26، ص 41.
81- اتعاظ الحنفا، ص 76.
82- القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 468.
83- ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص 9.

السرير

ومن الأمور التي اتخذت رسوما للخلافة في العصر الفاطمي السرير[84]، لجلوس الخليفة عليه ويسمى (سرير الملك) وهو من الذهب وعليه مرتبة مذهبة وموقعه بصدر الإيوان الكبير بالقصر، ومن حوله الأمراء والأعيان وأرباب الرتب، وكان الرسم أن يظل البعض واقفا ويجلس من له عادة الجلوس. وتذكر المصادر أن أول من جلس على سرير مرتفع هو معاوية بن أبي سفيان[85].

المنبر

ومن رسوم الخلافة الفاطمية المنبر، ويعني العلو، أي الشيء المرتفع[86]. ويبدو أن العرب عرفوا المنبر قبل الإسلام، واستخدموه في مجالسهم، «وأول من جلس على منبر أو سرير ذي أعواد، ربيعة بن محاسن» وتشير مصادرنا أن الرسول ﷺ قال: «إن أتخذ منبرا فقد اتخذه أبي إبراهيم وإن أتخذ العصا فقد اتخذها أبي إبراهيم»[87] وعليه

84- إن معنى السرير في اللغة (المضجع) والجمع أسرة ... والسرير الذي يجلس عليه معروف، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، م4، ص 361؛ ويذكر الفيروز أبادي قائلا: «السرير مفرد والجمع أسرة وسرور مستقر الرأس في العنق والملك والنعمة وخفض العيش» ينظر: القاموس المحيط، ط2، مطبعة الباب الحلبي، القاهرة، 1952م، ج2، ص 47 ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج3، ص 264-265، ويتضح لنا من هذه النصوص أن السرير يراد به ما يجلس عليه أرباب الملك والسلطان، وهو في الوقت نفسه يدل على العلو.

85- خلدون، المقدمة، ج2، ص 41؛ القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق د. عبد الستار أحمد، الكويت، 1964م، ج2، ص 227 ؛ ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد (ت: 896هـ/1491م) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، ج2، ص 230 ؛ ويذكر ابن الأزرق أيضا أن العرب عرفوا السرير قبل الإسلام، حيث كان للنبي سليمان عليه السلام سرير من العاج مغشى بالذهب، ينظر: بدائع السلك، ج2، ص 229.

86- يشير ابن منظور: أن المنبر «مرقاة الخاطب، سمي منبرا لارتفاعه وعلوه وانتبر الأمير ارتفع فوق المنبر» لسان العرب، ج5، ص 189 ؛ ويذكر الفيروز أبادي أن كلمة منبر تعني: «نبر الحرن ينبره همزة والشيء رفعه، ومنه المنبر بكسر الميم»، القاموس المحيط، ج2، ص 137.

87- السمهودي، علي بن عبد الله (ت: 911هـ/1505م) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين، بيروت، 1955م، ج1، ص 273، أن سبب استحداث المنبر من قبل الرسول ﷺ كما يذكره أبو هلال العسكري هو إصابته بألم في رجله، بسبب كثرة قيامه وقعوده «كان رسول الله ﷺ يشتكي =

فقد اتخذ الخليفة الفاطمي المنبر والتخت والكرسي ليجلس عليها مرتفعا عن رعيته.

المظلة

ومن رسوم الخلافة الفاطمية (المظلة) وأول من اتخذها من الخلفاء الفاطميين المهدي[88] وقد شوهد المعز لدين الله سائرا والمظلة على رأسه عندما قدم مصر[89].

يذكر القلقشندى قائلا: (المظلة) التي تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه، وهي قبة على هيئة خيمة على رأس عمود، كالمظلة التي يركب بها السلطان الآن، وكانت اثني عشر شوزكا، عرض سفل كل شوزك شبر، وطوله ثلاثة أذرع وثلث، وآخره من أعلاه دقيق للغاية، بحيث يجتمع الاثنا عشر شوزكا في رأس عمود بدائرة، وعمودها قنطاريه من الزان ملبسة بأنابيب الذهب، وفي آخر أنبوبة ثلثي رأس العمود فلكة بارزة مقدار عرض إبهام تشد آخر الشوازك في حلقة من ذهب وتنزل في رأس الرمح، ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة، وحاملها من أكبر الأمراء[90].

وكان صاحب المظلة في عهد الخليفة المعز لدين الله (عمار بن جعفر وشفيع صاحب المظلة)[91] وعندما خرج عبد الله بن المعز لدين الله لقتال القرامطة «سير عساكر وعليها ابنه عبد الله الأمير فسار بمظلة»[92] ويذكر أنه «خرج الناس غداة يوم الأربعاء للقاء أمير المؤمنين ابن العزيز ودخل القاهرة وبين يديه البنود والبوقان وعلى

=

رجله إذا قام وقعد من وجع يقال له الرجز، فقال له تميم الداري: إلا اعمل لك منبرا ؟ قال وكيف المنبر؟. فقطع أثلا وعمله وجعله درجتين ومقعدا» ينظر: الحسين بن عبد الله (ت: 395هـ/1004م) الأوائل، تحقيق اسعد طرابزوني الحسيني، المدينة المنورة، 1385هـ/1966م، ص 185.

88- ابن طاهر، جمال الدين أبو الحسن (ت: 623هـ/1226م) أخبار الدول المنقطعة، القاهرة، بلا، ص 43 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 231؛ وكان حامل مظلة المهدي هو مسعود الصقلي ثم عرس الصقلي، المصدر نفسه، ص 43.

89- يبدو أن الخلفاء الفاطميين نقلوها من المغرب، عندما كانوا يظللون حكامهم بريش الطواويس، ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 94.

90- صبح الأعشى، ج3، ص 542.

91- المصدر نفسه.

92- ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص 33.

رأسه المظلة يحملها ريدان ... »[93].

ويشير ابن ميسر قائلا: « وفي النصف منه شق الحاكم مدينة مصر بعد ما زينت له الأسواق زينة عظيمة وريدان يحمل المظلة عن يمينه وابن عمار عن يساره ... »[94]. وكان لون المظلة يشبه لون ثياب الخليفة[95].

وفي صلاة عيد الأضحى تكون مظلة الخليفة حمراء تبعا للون ثوبه الأحمر الموشح[96] وبيضاء في صلاة عيد الفطر لارتدائه البياض[97] أما لون شعار الخلافة الفاطمية فكان الأبيض[98]. وعندما صلى القائد جوهر بجامع عمرو قام الخطيب وقد لبس ثياباً بيضاء وخطب[99].

ويشير القلقشندى إلى أن الخليفة الفاطمي عند ركوبه في أيام الجمع الثلاث الأخيرة من شهر رمضان يلبس ثيابا بيضا عند صلاته وكذلك المنديل والطيلسان[100] فضلا عن ذلك فإن الخليفة الفاطمي كان يلبس ثيابا بيضا موشحة في صلاة عيد الفطر[101]. أما اللون الأسود فليس هو شعار الفاطميين وإنما كانوا يلبسونه بالمناسبات[102].

وخلاصة القول: يعد العصر الفاطمي من العصور المهمة في تاريخ مصر، ويعكس تطور الحياة خلال هذه الحقبة التاريخية.

93- ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص 50.
94- المصدر نفسه، ج2، ص 51.
95- المصدر نفسه، ج2، ص 55.
96- المصدر نفسه، ج2، ص 55.
97- القلقشندي، المصدر السابق، ج3 ص515
98- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 212 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص 75.
99- صبح الأعشى، ج3، ص 510.
100- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص 75.
101- المصدر نفسه، ج3، ص 512 ؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 94
102- النويري، نهاية الأرب، ج 26، ص 91.

المصادر والمراجع

المصادر الأصلية

1. ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت: 630 هـ/1238م) الكامل في التاريخ، المطبعة الكبرى، القاهرة، 1290 هـ.
2. ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد (ت: 896 هـ/1491م) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق، علي سامي النشار، بيروت، ط2، 1965م.
3. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت: 874 هـ/1469م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963م.
4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808 هـ/1405م)
   - مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسي، أ. م، كاترميره، عن طبعة باريس، سنة 1805م، مكتبة لبنان، بيوت، 1970 م.
   - العبر وديوان المبتدأ والخبر، القاهرة، 1274 هـ.
5. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم، (ت: 681 هـ/1281 م) وفيات الأعيان، بولاق، 1283 هـ.
6. ابن طاهر، جمال الدين أبو الحسن علي (ت: 623هـ/1226 م). أخبار الدول المنقطعة، القاهرة، بلا.
7. ابن عبد ربه، أبو عمر بن محمد (ت: 328 هـ/939 م) كتاب العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1385 هـ/1965م.
8. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد (ت: أواخر القرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي) البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق، دوزي، ليدن، 1848 م.
9. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت: 550هـ/1160 م) تاريخ ابن القلانسي، بيروت، 1908م.
10. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711 هـ/1311 م) لسان العرب، مطبعة دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1374 هـ/1955 م.
11. ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت: 677 هـ/1278م) أخبار مصر، اعتنى بتصحيحه، هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1919م.

12. أبو عبيدة، عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1097 م) كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مطبعة دي سلين، الجزائر، 1857م.
13. الحسين بن عبد الله (ت: 395هـ/1004 م) الأوائل، تحقيق، أسعد طرابزوني الحسيني، المدينة المنورة، 1385 هـ/1966 م.
14. الزبيدي، محب الدين أبي الفضل السيد محمد مرتضى الحسيني (ت: 1205هـ/1791 م) شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، 1306 هـ.
15. السلاوي، الشيخ أحمد بن خالد الناصر (ت: 1315هـ/1897م) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، القاهرة، 1312 هـ.
16. السمهودي، علي بن عبد الله (ت: 911 هـ/1505 م) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار أحياء التراث العربي، 1955 م.
17. الطبري، محمد بن جرير (ت: 310 هـ/922م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1968م.
18. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي (ت: 823هـ/1420م) القاموس المحيط، ط2، مطبعة الباب الحلبي، القاهرة، 1952م.
19. القلقشندى، أحمد بن علي (ت: 821هـ/1418 م)
- صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، دار الفكر، بيروت، 1407هـ/1987م.
- مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد، الكويت، 1964م.
20. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ/1058م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1388هـ/1978م.
21. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: 845هـ/1441 م)
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، بولاق، 1270هـ.
- اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفاء، نشر الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، 1367 هـ/1948 م.
22. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن (ت: 732 هـ/1332 م) نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، بلا.

المراجع الحديثة

23. الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ملتزم النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م.
24. جلال، إبراهيم، المعز لدين الله الفاطمي وتشييد مدينة القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1963م.
25. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م.
26. عواد، ميخائيل، مقدمة في كتاب رسوم الخلافة للصابي، مطبعة العاني، بغداد، 1964م.
27. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، الناشر مكتبة الخانجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1387هـ/1967م.